# قريش ومخزوم

كانت قريشٌ موئلَ الثقافة العربية من أنحاء الجزيرة كلِّها بين حاضرة وبادية ، ومن قديم عصورها إلى حديثها .

لأنها كانت وَسَطاً بين الحضارة والبداوة ، وكانت تقيم فى عاصمة الحجاز وإلى جوار الكعبة التى يحُج إليها العرب ، تبركاً بحُرمتها ، ولياذًا[1] بأصنامها ، ويحملون إلى أسواقها أزوادَ الأدب والشعر والحكمة ، كما يحملون إليها أزوادَ[2] القُوت وسِلَع التجارة .

وكانت قريش تنتقل إلى بلاد العربِ كما ينتقل العربُ إليها من بلادهم ، فكان لها رحلتان فى الشتاء والصيف : إحداهما إلى اليمن والأخرى إلى الشام ، وكانت تُضيف إلى ما تَعلمه بالسماع والرواية عِلْمَ المشاهدة والمراس[3] ، حيثُما نزلت فى طريقهما من ديار العرب أو من ديار الروم والحبشة ، وسائر الأمم الأعجمية كما كانت تسميها .

---

(١) لياذا : لجوءا ، تقول ( لاذ به ) أى لجأ إليه وعاذ به .

(٢) أزواد : جمع زاد .

(٣) المراس : الممارسة والخبرة .

والعرب من دأبهم حفظُ السِّير وروايةُ الأحاديث والتنقيب عن الأخبار والطوايا[١] ، لأن الاستطلاعَ من طبيعة سكان الصحارَى ، وتتوقف سلامتُهم أحياناً على خبر يعلمونه فى أوانه كما تستهدف[٢] أرواحهم أحياناً للخطر العظيم من جَرَّاء طارىء داهم تفوتهم الحيطةُ له فى حينه ، ولم يزل أبناءُ القبائل على وَلِعهم المأثور بالسير والأخبار لغير هذه الضرورة التى يدعوهم إليها حبُّ الأمن والسلامة . فهم غيورون على تراث الآباء والأجداد تفاخراً بالنسب العريق وتصحيحاً للعلاقات وتمييزاً للأقربين والبعداء .

ومع هذا الولَع الأصيل فى الطبيعة العربية باستقصاء الخبر ، يصعب على الذهن أن يتخيل أن قريشاً تجهل شأناً من شئون الثقافة العربية ؛ وهى تقيم فى مثابة[٣] الجزيرة كلها وتسهر على عاصمة العرب ، وتجوب أنحاء هذا الوطن الكبير من شَماله إلى جنوبه ومن جنوبه إلى شماله ، وتتابع العصور حقبة بعد حقبة وهى فى مرْقَبها الذى تُطل منه على كل ما يعنيها . . .

---

(١) الطوايا : جمع طوية وهى الضمير ، وقد يقصد به هنا بواطن الأمور .

(٢) تستهدف : تتعرض .

(٣) المثابة : الموضع الذى يثاب اليه ( أى يرجع ) مرة بعد أخرى . ومنه سمى المنزل ( مثابة ) .

فقلما غاب عنها عِلْمٌ عربى وصل إليه أبناءُ الحواضر والبوادى باجتهادهم واختبارهم ، أو وصلوا إليه بالقدوة والسماع عن الأُمم الأَجنبية . . .

وقلما خَفى عنها فنٌّ من فنون ثقافة العرب فى مصالح السلم والحرب ، أو معارض السياسية والشئون الاجتماعية .

ونظن أن خطأَ المؤرخين فى تقدير معارف العرب السياسية لا يقل عن خطئهم فى تقدير معارفهم الحربية ، وقد كانت كما رأينا كفئاً لحضارة الدولة الفارسية وتجارِب قوادِها وأساوِرَتها[1] .

وكذلك كانت لهم فى السياسة والنظم الحكومية خِبرةٌ لا يَستخف بها مَنْ ينفُذ إلى بواطنها ، فهى لا تبلغ أن تكون فلسفةً مشروحةً ومذاهبَ مفصَّلةً على مثال النظم العصرية ، ولكنها كذلك لا تنزل إلى الفوضى ولا إلى الغريزة الهمجية التى لا مِسَاك[2] لها ولا تدبير فيها .

وأوجزُ ما يقال عن خبرتهم بالنظم الحكومية أن العالَم القديم لم يعرف قطُّ نِظاماً من أنظمة الحكم إلا كان للعرب نَموذجٌ منه يوافق مصالحَهم وعقائدهم ويجرى على عاداتهم وخلائقهم .

(١) أساورتها : جمع إسوار ( بكسر الهمزة ) وهو قائد العجم ، كالأمير فى العرب .
(٢) لا مساك لها : يعنى : لا ضابط لها .

عرفوا نظام الإمارة التى ينفرد فيها الأميرُ برأيه ويستأثرُ فيها بشريعته وقضائه . . .

وعرفوا نظام الإمارة التى يتولى فيها الحكمَ نائبٌ عن الأمير يفصل فى قضايا الرعية بمعونة ذوى الرأى منها « إلا أن يكونَ غزوٌ أو قتال » فهو باسم الملك دون غيره ، وهو النظام الذى جرى عليه أهل الحيرة زمناً مع ملكهم المنذِر ونائبه زيدِ بن حماد من بنى أيوب.

وعرفوا نظام الإمارة التى يُختار أميرُها من أُمة أُخرى كما تنتقل الأُسر الأُوربية اليوم من مواطنها إلى الموطن الذى تحكمه بالمصاهرة أو بالاتفاق بين الدولتين . وعلى هذه السُنَّةِ اجتمع البَكريُّون حين غلبهم سفهاؤهُم وأكل قويُّهم ضعيفَهم فقال شيوخهم : « لا نستطيع دفعَ ذلك إلا أن نُملِّكَ علينا ملكاً نعطيه الشاةَ والبعير ، فيأخذُ للضعيف من القوى ويردُّ على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكونَ من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، ولكنا نأتى تُبَّعا فيختارُ لنا » فقصده فملَّكَ عليهم حَجَرًا أميرَ كِندة ، وهو أبَو امرئ القيس الشاعر المشهور .

وعرفوا الحِمايات على أنواعها : حمايةَ الإمارة التى تستعين بجيش أجنبى ، وحماية الإمارة التى تعتمد على جيشها ،

وحماية الإمارة التى تدين لدولة واحدة ، أو تدين لدولتين . كما حدث ذلك فى مُلْك اليمن بين الحبشة وفارس وسادات البلاد .

وعرفوا رئاسةَ القبائل المنفردة ورئاسة القبائل المجتمعة إلى نسب واحد ، ورئاسة الرُّحَّل الذين يرعَوْن الإبل والشاء ، ورئاسة أهل المَدَر[1] الذين يغرسون المروج والبساتين ويزاولون التجارة من موسم إلى موسم . . .

* * *

وكانت قريشٌ تسمع بهذه النظم وتشاهدها فى مواضعها وتقتبس منها ما هى فى حاجة إليه ، ولكنها لم تأْخذ بنظام الإمارة لأَن التنافسَ بين بطونها يمنعُها أن تتفقَ على مَلك من إحداها ، ولم تعرض لنظام الحماية لأَنها كانت بنجوةٍ من سلطان الدول الأَجنبية ، ولم يوافقها نظامُ أَهل الوَبَر[2] ولا نظام أَهل المَدَر لأَنها كانت وسطاً بين الحضارة والبداوة كما قدمنا ، وكانت ترعى مصالحَها ومصالحَ الوفودِ التى تُقبل إليها حاجَّةً أو مُتَّجرةً وليست هى من عشائرها . التى تقبل منها حكمَ الشيخ فى قبيلته على أية صفة من صفاتها .

---

(١) المدر : القرى ، والعرب تسمى القرية مدرة .

(٢) أهل الوبر : البدو .

فاختارت لها نظاماً فريداً يوفّق بين هذه الأطوار الاجتماعية المختلفة فيها ، ولعله أشبهُ النظم بنظام المشيخة بين الرومان الأقدمين ، وإنما يؤول الرأىُ الأخير فيه إلى مجلس يجتمع من رؤساء كل بطن فى القبيلة ، ويوشك أن يكون أمرُه شورَى أو على صورة الشورى التى ترضى بالمجاملة وإن لم يكن فيها رضا بالحقيقة . إذ الحقيقة أن المرجعَ الأخير إلى أقوى الأقوياء من أولئك الزعماء كلما حَزَبَ الأمرُ[1] وتشعَّبت الآراء .

ومن زَكَانة[2] الحكم عندهم أنهم فهموا مناطَ الرئاسة القرشية التى يدين بها حجاجُ البيت الحرام وقصَّاد مكة من الحضَر والبادية ، وهى الدين واللغة والتجارة المشتركة .

فحفظوا مناسِك الكعبة ، وجعلوا أسواقهم مَعْرِضاً للبلاغة الشعرية والخطب المرويَّة ، وتعاهدوا على ضمان الثقة بالتجارة كلما غدر غادر بذمتها ، أو اعتدى معتدٍ على حقوقها .

* * *

واحتالوا على التوفيق بينهم بتقسيم المفاخر والمراسم على بطونهم

---

(١) حزب الأمر : تقول (حزبهم أمر) أى أصابهم ، والمقصود ( كلما قامت مشكلة) .

(٢) الزكانة : الفطنة .

وزعمائهم حسب أقدارهم ومزاياهم ، فانتهى الشرف إلى عشرة بطون هم : هاشمٌ وأُميةُ ونوفلٌ وعبدُ الدار وأَسَدٌ وتَيْمٌ ومخزومٌ وعَدِىٌّ وجُمَحٌ وسَهْم ، فكانت لهاشمٍ سقايَةُ الحاجّ ، وكانت لأُميةَ رايةُ الحرب يخرجها عند القتال ليسلموها إلى قائدهم المختار ، وكانت لنوفل الرفادةُ وهى إعانة الحجاج المتقطعين بالمال ، وكانت لعبد الدار السِّدانةُ[1] والحِجابةُ واللواء ، وكانت لبنى أسد المشورة أو رئاسة مجلس الشورى فى مهمات الأُمور ، وكانت لبنى تيم الديّات[2] والمغارم ، وكانت لبنى مخزوم القبة وهى مجتمع الجيش والأعنة وهى قيادة الفرسان ، وكانت لبنى عَدِىٍّ السفارة ، ولبنى جُمَحَ الأَيْسار أو الأَزلام[3] ، ولبنى سهم الحكومة والأموال المحجرة[4] ، وظلوا يتولونها جيلا بعد جيل إلى ظهور الإسلام .

ولم يكن لهذه « الوظائف » الموزعة شأن واحد فى جميع الأوقات والأحوال ، بل كانت تعلو وتهبط على حسب الزعيم الذى يتولاها وعلى حسب القوة التى يكون عليها بيته عند ولايته إياها . ولكننا إذا نظرنا إليها نظرة مجملة وجدنا منها ما كان يقصد به « جبر

---

(١) السدانة : خدمة الكعبة وبيت الأصنام .
(٢) الديات : جمع دية ، وهى المال يعطيه أهل القاتل
(٣) الأيسار والأزلام : السهام التى كان العرب يستخدمونها فى الميسر « القمار »
(٤) الأموال المحجرة : التى سموها لآلهتهم أى أوقفوها عليها .

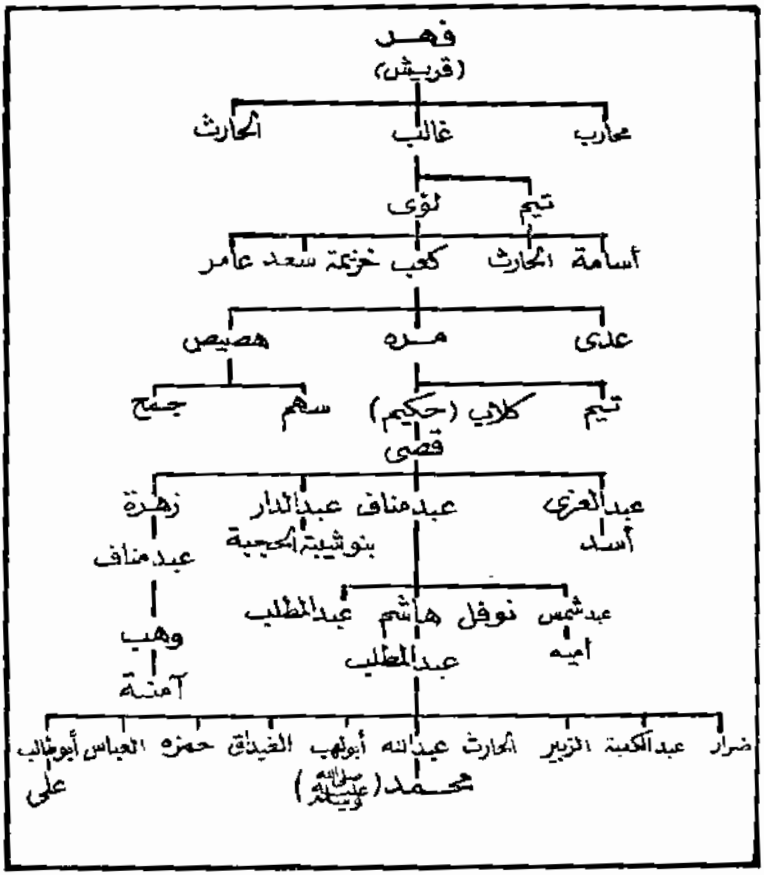
فهـر
(قريش)
محارب
غالب
الحارث
تيم
لؤى
أسامة الحارث
كعب
خزيمة سعد عامر
عدى
مـره
هصيص
تيم
كلاب (حكيم)
سهم
جمح
قصى
عبدالعزى
أسد
عبدمناف
عبدالدار
بنوشيبة الحجبة
زهرة
عبدمناف
عبدشمس
أميه
نوفل
هاشم
عبدالمطلب
وهب
آمنة
عبدالمطلب
ضرار
عبدالكعبة
الزبير
الحارث
عبدالله
أبولهب
الغيداق
حمزه
العباس
أبوطالب
على
محـمـد (ﷺ)

نسب قريش

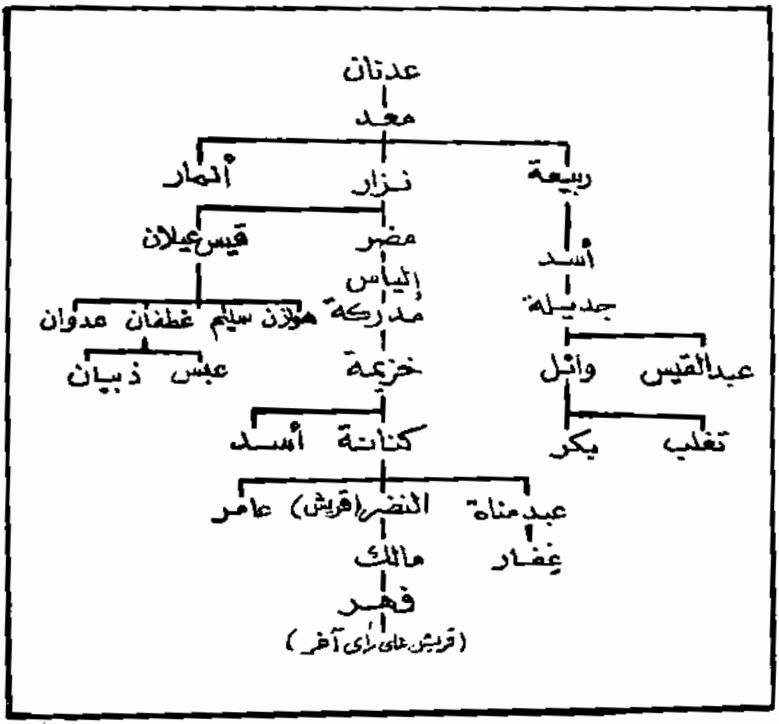
عدنان
معد
ربيعة
نزار
أنمار
أسد
مضر
قيس عيلان
جديلة
إلياس
مدركة
هوازن سليم غطفان عدوان
عبد القيس
وائل
خزيمة
عبس ذبيان
تغلب
بكر
كنانة
أسد
عبد مناة
النضر (قريش)
عامر
غفار
مالك
فهر
(قريش على رأي آخر)

شعب عدنان

الخاطر » والإرضاء ، وما كان يشبه الوظائفَ الشورية أو الإدارية الثانوية فى حكوماتنا الحاضرة ، ولم نجد بينها « سلطات » فعالةً خليقةً أن تتعاقب مع الزمن غيرَ ثلاثٍ متفرقات : وهى السلطة الروحية لهاشم وعبد الدار ، والسلطة السياسية لأُمية ، والسلطة العسكرية لمخزوم .

من بنى مخزوم هؤلاء نشأ خالد بن الوليد — بطل هذا الكتاب — وكانت نشأته فى أعرق بيوتها وأعلاها وأشرفها وأغناها ، فلم يكن من أبوته أو عمومته إلا رئيسٌ ابنُ رئيس لا تعلو مكانتَه مكانةُ أحد من رؤساء الجاهلية . . .

كان جدُّه المغيرةَ بنَ عبدِ الله ، الذى كان الرجلُ من بنى مخزوم يُؤثر أن يُنسَب إليه فيسمَّى المُغِيرىَّ تشرفاً بالانتساب إلى الفرع الذى أناف على الأُصول . .

وكان أبوه الوليدَ بنَ المغيرة الملقبَ بالعدل وبالوحيد[1] ، لأنه كان يكسو الكعبة وحدَه سنةً وتكسوها قريشٌ كلها كسوةً مثلَها سنةً أُخرى .

---

(١) وفيه نزل قوله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيداً » .

وكان عمُّه هشامٌ قائدَ بنى مخزوم فى حرب الفِجار[١] ، وبوفاته أرَّختْ قريشٌ كما تؤرخ بالأحداث العظام ، ولم تُقم سوقاً بمكة ثلاثاً لحزنها عليه . . .

* * *

وكان عمُّه الفاكهُ بنُ المغيرة من أكرم العرب فى زمانه ، له بيت للضيافة يأوى إليه من شاء بغير استئذان .

وكان عمُّه أبو حُذَيْفَة أحدَ الأربعةِ الذين أخذوا بأطراف الرداء وحملوا فيه الحجرَ الأسودَ إلى موضعه من الكعبة كما أشار النبى عليه الصلاة والسلام قبل الدعوة الإسلامية . . .

أما الذى فض النزاع بين القبائل على هذا الشرف حين آذن التنافسُ بينها بالشر المستطير فهو عمٌّ آخرُ من أعمامه ، وهو أبو أميةَ بنُ المغيرة الملقبُ بزاد الراكب[٢] كما جاء فى بعض الروايات . فقد أشار عليهم أن يكِلوا الحكمَ إلى أول داخل من باب المسجد ليختارَ من بينهم من يرفع الحجر إلى مكانه : فارتضَوْا

---

(١) حرب الفجار : كانت بين قريش ، وقيس عيلان ، وقد حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وهو صبى ، وسميت كذلك لأنهم فجروا فيها ، إذ أنهم تقاتلوا فى الشهر الحرام .

(٢) اللقب المتداول فى الكتب ( زاد الركب ) وقد اشتهر ثلاثة من قريش بأنهم ( أزواد الركب ) أحدهم أمية بن المغيرة .

مشورتَه وتم صواب المشورة بتوفيق البشارة النبوية قبل إهلالها على العالم بسنين ، ولُقِّب أبو أُميةَ زادَ الراكب لأنه كان يكفى أصحابه فى السفر مئونتهم فلا يتزودون بزاد .

ويظهر أن بنى مخزوم هؤلاء كانوا فى ثروتهم وعِدَّتهم وبأسهم أقوى البطون القرشية حين ينفرد كل بطن منها عن سائر بطونها . ولكنهم لم يستأثروا بالزعامة القرشية لأنهم كانوا ينافسون بنى هاشم وبنى أميةَ وبنى عبد الدار ، وهم ثلاثةُ بطونٍ قوية يلتقون فى جد واحد أقربَ من الجد الذى يجمعهم ببنى مخزوم ، وهو مُرَّةُ بنُ كعبِ بن لؤىِّ بنِ غالب بن فهْر جدِّ قريش أجمعين .

* * *

وقد تبينت رجاحتُهم هذه فى مواقفَ كثيرةٍ قبل الإسلام وبعده. فاضطلعوا وحدَهم ببناء ربع الكعبة بين الركنين الأسود واليمانىِّ . واشتركت قريش كلُّها فى بناء بقية الأركان . .

وكان لبنى مخزوم وحدَهم فى وقعة بدر ثلاثون فرساً من مائة فرس لقريش كلِّها ، ومائتا بعير وأربعةُ أو خمسةُ آلافٍ مثقالٍ من الذهب غير الأزواد والأمداد . . .

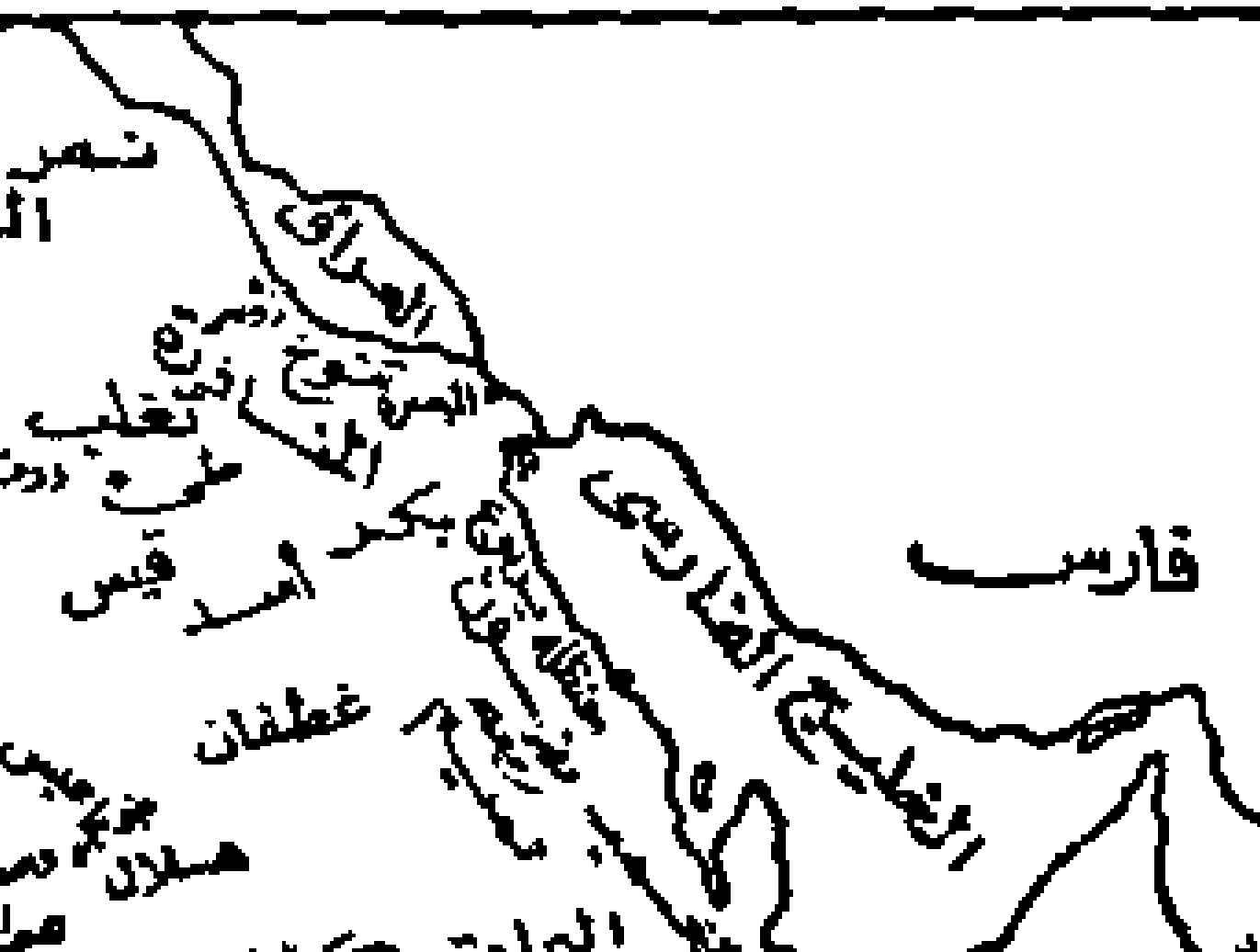
فارس
الخليج الفارسي
غطفان
هلال

فلا جَرَمَ[١] يعظم على نفوسهم أن يغلبهم منافسٌ على الشرف والعزة ، وأن يحوزوا كل ما حازوه من الرجال والأموال ثم تشيل كِفَّتهم[٢] مرجوحة فى ميزان الفخار . .

ولا جرمَ يأخذون الأمر مأْخذ الأَنفَة والخُنزوانة[٣] بينهم وبين بنى عبد مناف حين تظهر النبوة فى هؤلاء ولا تظهر فيهم .

وقد أخذوها هذا المأْخذ حين قال أبو جهل : «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف : أطعموا فأطعمنا ، وحَمَلُوا فحملنا[٤] ، وأعطَوْا فأعطينا ، حتى إذا تحاذَينا على الركب وكنا كَفَرَسَىْ رِهَان ، قالوا : منا نبى يأْتيه الوحى من السماء . . فمتى نُدْرِكُ هذه؟ »

وإنما قال أبو جهل «بنو عبد مناف » ذهاباً إلى الجَدِّ الذى يجمع هاشماً وأميَّة وعبد الدار ، كأنه يستعلى فى كبريائية أن ينافس هاشما وحدَها دون أن يصعد إلى أبيها الذى يجمع بينها وبين غيرها .

---

(١) لاجرم : حقا

(٢) تقول ( شال الميزان ) أى ارتفعت إحدى كفتيه ، فمتى ( تشيل كفتهم ) ينخفض مقدارهم ، ويفضلهم غيرهم .

(٣) الخنزوانة : التكبر .

(٤) حملوا فحملنا : من الحمالة ( بالفتح ) وهى الكفالة ، أى كفلوا الناس وكفلناهم .

وكان الوليدُبن المغيرة يزعم أنه هو أحق الناس بالنبوة والقرآن ، ويقول : « أينزل على محمد وأترك وأنا كبيرُ قريش وسيدُها ؟ » . فى ذلك يقول القرآن الكريم : « وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القَريتَينِ عظيم » .

ونحن نعلم الآن أىَّ عقبة كانت هذه الخنزوايةُ المخزوميةُ فى طريق الإسلام إذ نرجع إلى الآيات التى نزلت فى رؤسائهم ووصفت ما كان من عنادهم وعتادهم ، وما كانوا يقابلون دعوة الدين الجديد بدعواهم فى آبائهم وأجدادهم ، فلم ينزل فى رؤساء قبيلة مثلُ ما نزل فى رؤساء هذه القبيلة ، ولم تتمثل مَنَعةُ قوم كما تمثلتْ منعتُهم فى ردود القرآن على أقوالهم ، وهى أقوى ردود عرفت فى السور المكية الأُولى ، على ما جاء فى الآيات الكثيرة من سورة « ن » وسورة « المدثر » وسورة « الكافرون » ، عدا إشارات أخرى فى سورة « الحجر » و « عبس وتولَّى » .

وكلُّ أولئك فحواه شىءٌ واحد ، وهو أن بنى مخزوم باءُوا[1] بأسباب المحافظة على القديم جميعاً حين تصدى الإسلام لتبديل ذلك القديم ، فهم أول من يُصاب بهذه الدعوة الجديدة وآخرُ من

(١) باءوا : رجعوا ، والمراد انهم تحملوا أعباء المحافظة على القديم .

يلبِّيها وله مندوحة[1] عنها ، ومن ثم كانت المصاولة بين الإسلام والجاهلية فى وجه من وجوهها مصاولةً بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين خالد بنِ الوليد الذى انتهى إليه شرفُ الرئاسة المخزومية فى ذلك الأوان .

والناس يختلفون فى تمثيل بيئاتهم وطبقاتهم غايةَ الاختلاف ، ويصدُقون فى تمثيلها غايةَ الصدق وهم يتفاوتون بينهم تفاوتَ النقيض والنقيض . لأن البيئةَ مستودَعٌ شامل يوجد فيه الحسنُ والردىء ، ويأكل كلٌّ منه على حسب مأتاه ومورده ، وحسب ما هو مستعد له وقادر عليه .

فإذا قيل سيد من سادات قريش أو نموذج من نماذج القرشية الجاهلية جاز لنا أن نتمثله على ألوان كثيرة لا على لون واحد ، وجاز أن يكون هذا السيدُ خَيرَ الساداتِ من طبقته أو شرَّهم وشرَّ أهل زمانِه من جميع الطبقات . . .

ولكننا مع هذا قد نحصُر الخصالَ المشتركة والنعوتَ الوسطى فى الشذوذ والاستثناء . .

فالغـــالب على هؤلاء السادة أنهم يتوارثون الثقافة العربية

(١) مندوحة : يقال ( لك عن هذا الأمر مندوحة ) أى سعة وفسحة ، والمراد أنه كان لبنى مخزوم مايبرر — من وجهة نظرهم — عدم تلبية الدعوة الجديدة .

ويتدارسونها بالتعليم والتلقين والمعاشرة ، ويستوعبون أخبـــار الحكماء وذوى الأحلام فى علاج المشكلات وتدبير الحيل ومصانَعة الناس[١] والأيام .

ويكثر فيهم أن يجمعوا الثقافة السياسية والعسكرية كما وصلت إليهم من تراث الأقدمين من عرب وعجم ، وبخاصة من كان منهم منوطاً بعُدَّة الحرب وقيادة القبيلة فى غزواتها أو مواقف دفاعها ، كما كان خالد بن الوليد . .

ومن صفاتهم الشائعةِ فيهم حبُّ السيطرة والصرامة ، وقلة الرحمة ، والاستزادةُ من المال ومتع الحياة ، والتفاخر بالوفر والثراء وجمع الحطام من حيثما اجتمع بأساليبهم التى كانوا يستجيزونها ولا يتحرَّجون منها ، وأشيعُها الربا والمغالاة بالأسعار .

وقد وُجد فى أسرة خالد من يُكثر من الإقراض بالربا ، ومن يرى فى أموال الربا شيئاً من الدَنَس يقاربُه فى أحوالٍ ويستبعدُه فى أحوال أخرى

فمات أبوه وله على قبائل مكةَ وأرباضِها[٢] ديونٌ تحسب بالألُوف لم يزل خالدُ يتقاضاها حتى أسلم وأسلم المدينون ، فترك

(١) الأحلام : العقول ، مصانعة الناس : المصانعة : الرشوة ، ومصانعة الناس : استمالتهم
(٢) أرباضها : أرباض المدينة : ماحولها ، جمع ( ربض ) بفتحتين .

الربا من بعدها واكتفى برأس المال عملا بالقرآن الكريم : «يأيُّها الذِين آمنُوا اتَّقُوا الله وَذرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربَا إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِين ، فإن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُون»

وكذلك وُجِد فى أسرته من نَزَّه الكعبة عن أموال الربا وما شابهها فقال لقومه : «يا معشرَ قريش . . لا تُدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً لا يدخلُ فيه مهرُ بَغِيٍّ ولا بيعُ رباً ولا مظلمة أحد» .

وكلهم قرشى جاهلى من طبقة السادة وأصحاب المال .

فحين نقول إن خالداً كان مثالَ طبقته وعنوان المحافظة على مزايا هذه الطبقة يحسنُ بنا أن نتجهَ إلى تلك الخلائق الوسطى ونترقبَ منه نماذجها المشتركة التى لا غلوَّ فيها من هنا أو هناك ، حتى نرى دلائل الزيادة فى خليقة من تلك الخلائق ، فذاك إذن خاصتُه التى يتميز بها بين قرنائه ، ولا تخرجه من معهود الطبقة كلها على الإجمال .

ولا يتم الكلام على تراث بنى مخزوم حتى نضيف إلى مزاياهم المختلفة مزيةً ملحوظة لها شأنُها فى كل مجتمع إنسانى ، وليس

شأنُها بالقليل فى حياة خالد على التخصيص .

فقد كانت هذه القبيلةُ على كثرة الأقطاب بين رجالها مشهورةً بجمال النساء بين الحواضر العربية ، وبقيتْ لها هذه الشهرة إلى ما بعد قيام الدولة العباسية ، إذ كان يقال لأبى العباس السفاح : إن المخزومياتِ رياحينُ العرب ، وعندك منهن يا أمير المؤمنين ريحانةُ الرياحين . .

ولا بِدْعَ يكونُ هذا شأنَ القبيلة التى نبغ منها خالدُ بن الوليد وعمرُ بن أبى ربيعة . فقديماً كانت الفروسيةُ والغزلُ والمرأةُ بيئةً واحدة تتعاون فيها البطولة والشاعرية والجمال .

وصفوة هذا جميعه أن خالدَ بنَ الوليد قد دخل الإسلام بأوفى نصيب من حَمِيَّة السيادة العربية فى عهد الجاهلية ، فصنع للإسلام وصنع الإسلام له الأعاجيب ، وكان مقياسَ العبقرية العربية فى عهدين متقابلين .